من عطفات

قراءة الباب الثاني عشر من المالح

محبة المديح والكرامة

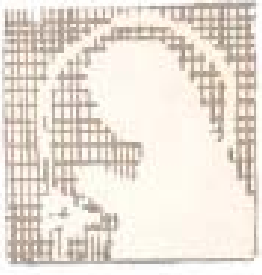

صاحبة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها — واربعا اخرى غيرها — بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنسية القديس مارمينا بالمنـــدرة — وكان قداسته عندئذ أسقفا للتعليم — وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك أن طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعـــة اولى عام ١٩٧١ — وهو اول عام لتبوأ قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء الالحاح فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعها واحـــدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

محبة المـــديح والكرامة

راجين الـــرب ان يجعلها لخير القـــراء ولبركة حيـــاتهم وشركتهم فى الـــرب . ببركة صلوات قداسة البـــابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حيـــاته ورئاسته للكنيســـة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة — آمين .

الكنيســـة

محبة المـــديح والـكرامة

المديح شيء ومحبة المديح شيء آخر وقـــد يمدح الانسان ولا يخطىء ، لكنه لو أحب المديح يكون قد اخطأ .

آباؤنا الرسل مدحوا ، القديسون العظام والشهداء مدحوا أيضا ، ولكنهـــم لم يخطئوا . فليس الخطـــأ فى أن تسمع مديحا ، وانما الخطأ فى أن تحب هذا المديح الذى تسمعه .

هناك نوعان من الناس لا يهوون المديح :

أولهما نوع يهرب من المديح الذى يأتى اليـــه سواء كان مديحا من الناس أو من الشياطين أو من نفسه .

والنوع الثانى يتمادى فى الهروب من المديح والكرامة حتى ينشد لنفسه عيوبا كثيرة ، وحتى يظهر عن نفسه جهـــالات ونقائص تحط من قدره ، ولو أدى الامر أن يقال فيه ماليس فيـــــه .

الذين يحبون المديح درجات فى الخطأ

١ ــ **النوع الاول** : انسان يأتيـــه المديح دون ان يسعى

اليه ، وعندما يأتيه المديح يسر به ويبتهج به هو لم يسع اليه ، لكن بمجرد وصول المديح اليه يسر به . وهذا الصنف على انواع :

ا ــ انسان يسر بالمديح ويسمعه فى صمت وهو جالس صامتا ومسرورا فى داخله دون أن يحس به أحد .

ب ــ هناك انسان يسمع المديح ويتسبب فى الاستزادة منه . اى يظل يقول بعض العبارات تجعل الذى يمدح يزيد فى مديحه ، كأنه يجره من موضوع المديح الى موضوع آخر يمدح فيه ، أو يتخذ اى وسيلة تجعل الذى أمامه يزيد المديح .

ج ــ وهناك انسان يحب المديح ويسمعه وهو مسرور ، ويتظاهر أنه غير مسرور مع أنه مسرور من الداخل . ويظل يتمنع ليزيد الاخر فى مديحه ، وذلك دون قصد منه أن يعيب فى نفسه بل هو فى قرارة نفسه يريد سماع كلام حلو .

٢ ــ **النوع الثانى** : اصعب من ذلك قليلا انسان لم يأت اليه المديح . لكنه يشتهى أن يسمعه وفى اشتهائه يسلك فى أحد طريقين :

ا ــ يشتهى المديح ويظل صامتا حتى يصله ، متحيلا

أسبابا يسمع بها المديح كأن يبدأ موضوعا معينا لكى يمدح لعمل عمله فى هذا الموضوع ، أو يجر الكلام خطوة خطوة حتى يصل الى النقطة التى يسر بها ويمدحه الناس بسببها.

ب — انسان يشتهى المديح ويعمل أعمالا صالحة أمام الناس لكى يمدحوه .

٣ — **النوع الثالث** : هناك نوع أصعب من ذلك فهو يحب المديح ويشتهيه ، لكن المديح لم يأته بعد رغم انتظاره وتحايله على الاسباب . فيصل الى درجة أخرى أنه يكره من لا يمدحه ، ويعتبره عدوه ، ويكون بينهما سوء تفاهم . نعم ان هذا الانسان لم يضره غير أنه لم يمدحه ببعض الكلام الطيب ، لم يقابله مقابلة لطيفة ، لم يقدم له احتراما زائدا ، لم يكرمه اكراما من نوع خاص . مثل هذا الانسان الذى يكره من لا يمدحه ماذا يفعل لمن ينتقده ؟ — اذا كان الساكت فقط دون أن يمدحه يكره ، فكم يكون شعوره من ناحية ناقديه .

٤ — **النوع الرابع** : هناك نوع آخر يشتهى المديح ، ويسر عندما يسمعه ، ويكره من لا يمدحه . ولا يكتفى بذلك فهو يمدح نفسه اذا لم يجد أحدا يمدحه . فيتكلم عن أعماله

الفاضلة التى عملهـــا وتستحق المديح ، كما يخفى خطـــاياه الشخصية. هذا الانسان هوالذى يتحدث كثيرا عن نفسه.

٥ ــ **النوع الخامس :** هناك انواع أصعب منذلك الانسان الذى يمدح نفسه ــ فمديح النفس على درجتـــين . درجة فيها يمدح الانسان نفسه بمـــا فيه فيظل يتكلم عن أفعـــاله المجيدة التى عملها وعن صفاته الفاضلة . والدرجة الثانية فيها يمدح الانسان نفسه بما ليس فيـــه فينسب الى نفسه فضائل غير موجودة عنده ، أو يذكر صفات جيدة عنده يظل يبالغ ويكبر فيهـــا ، أو أن ينسب عمـــل غيره الى نفسه . مثال ذلك : اذا كنت مشتركا فى عمـــل حسن فعندما تحكى الموضوع قد لا تقول انك اشتركت فى عمـــل جيد ، ويكون ذلك مديحا لنفسك فقط . بل قد تزيد قليلا وتركز كل العمل على نفسك ، كأن كل الباقين الذين اشتركوا معكَ لم يكن لهم وجود ولا مجهود . بل فى بعض الاوقات يحدث اكثر من ذلك فأنت تنسب كمية كبيرة من العيوب الى غيرك وتتهمهم بالتقصير او الضعف وتخفى حقهم . كأن تقـــول عن انسان عن غير حق أنه لم يستطع أن يتكلـــم ، وكان متلعثما حتى تضايق الناس منه ، ثم تدخلت انا وقلت الـــرد الصحيح . معنى ذلك أنك كنت سيد الموقف وغيرك اخطأ .

مثل ذلك الانسان لم يمدح ذاته فقط بل مدح ذاته وشنع بالاخـــرين .

راهب قديس كان ينكر ذاته جدا ، فلمـــا كان يعمل عملا حسنا ، ويعرف أن الناس سيمدحونه عليـــه ، كان يشرك آخر معه فى العمل ولو بقدر ضئيل جدا ، أو فى نهاية العمل يطلب من أحد أن يســـاعده ، ثم اذا سئل عن العمـــل بعد نهايته ، يقول « الله يبارك (فلان) الذى عمل هذا العمل » وينسب اليه الفضل حتى يبعد عنه مديح الناس .

وهناك مثل آخر واضح لمحبة المديح وهو لعبة كرة القدم . فان كان فـــريق يلعب وهو محب للمـــديح ، فانه سيفشل جميعه لان كل واحد سيجرى بالكرة بمفردة كى يصيب الهدف بنفسه فتضيع منه . ولاعب آخر قد يسير بالكـــرة وحده ، وبجوار المرمى يمرر الكرة لاحـــد زملائه فيكسب الهـــدف . فيمدح هذا الاخـــير على الرغم من أنه لم يعمـــل شيئا بينما الاول هو الذى عمـــل كل شىء فاذا كان هـــذا فى الـــروح الرياضية فكم تكون فى الناحية الروحية .

وهذا النوع من الانســـان الذى يمدح ذاته متجـــاهلا كل الظروف المحيطة والاشخاص المســـاعدين وينسب كل شىء الى نفسه ، يهدم حق الله فى هذا العمل فهـــو ينسى جانب

الله ، كما ينسى الظروف المساعدة لنجاح العمل ، ويركز كل شيء على نفسه ، ويمدح نفسه بما ليس فيه .

٦ ــ **النوع السادس** : وهذ يعتبر أردأ درجة فى محبة المديح . اذ قد تصل محبة المديح بالانسان الى درجة يحب فيها أن يمدح هو وحده ، ويغتاظ اذا مدح أحد غيره . فهو يريد أن يمدح وحده فقط لا أحد غيره . واذا مدح غيره يحسده ويغير منه ويتكلم عليه ويحقد عليه .

الشرور التى تنتج عن محبة المديح والكرامة

١ ــ **الرياء** : محب المديح يصير انسانا مرائيا لا يعطى صورة حقيقية عن نفسه . فهو يخفى النقط السوداء التى فيه ، ويظهر فقط النقط البيضاء واخفاء النقط السوداء يتدرج فيه الى نواح كثيرة وكذلك اظهار النقط البيضاء يتدرج فيه الى نقط خطيرة وبهذا يقع فى عيوب لا تحصى .

٢ ــ **عدم الاحتمال والغضب** : ما دام محب المديح يخفى عيوبه ، فبالتالى لا يقبل أن يوجه اليه عيب ، فيكون انسانا يكره الانتقاد ، واذا انتقد لا يحتمل . وربما لا يقف فقط عند حد عدم الاحتمال ، بل يتطور الى الغضب والهياج والنرفزة والثورة الى آخر هذا الطريق ، فكيف ينقده شخص ، وكيف

يقول عنه كلمة سيئة ، وكيف يذكر له عيبا معينا ؟ ويثور ويضج ويتعب من الداخل ومن الخارج ، كما يتعب معه الاخرين أيضا . وكل هذا بسبب محبة المديح والكرامة . وهنا يجب أن نعلم أن علاج أنواع كثيرة من الغضب ، هو الايكون الانسان محبا المديح ولا للكرامة لان كثيرا من غضبنا يكون بسبب محبة المديح ، اذ لا يحتمل الانسان كلمة اهانة أو كلمة نقد أو كلمة اساءة .

٣ ــ **الكراهية** : محب المديح يكره من لا يمدحه ، وايضا يكره من ينتقده ، كما يكره من يمدح أمامه غيره .

٤ ــ **الحسد** : محبة المديح والكرامة من الاسباب الاولى الاساسية للحسد . فالحاسد يريد أن ياخذ مركز غيره وهو لا يجب أن يكون غيره احسن منه .

٥ ــ **النقد والادانة والتشنيع والسب للغير** : فهو يحب أن يشوه عمل الغير ، فيكون جميع الناس أردأ منه ، وهو فقط الاحسن . انه يقع فى ادانة الاخرين فى التشهير بهم كما يقع فى السب وما الى ذلك فى انتقاص حقوق الاخرين .

٦ ــ **وبذلك يخسر محبة الناس** : انه لا يحب أحدا ولا احد ايضا يحبه .

٧ ــ **ومحب المديح يحب المتكآت الاولى :** يحب العظمة وهذه المتكآت الاولى يتنازع فيها الناس ويدخل فى خصومات وفى مشاكل مع الاخرين . من هو الاول ومن هو الرئيس ومن يكون المتسلط ومن يكون الظاهر ؟ اى انسان يريد أن يكون هو الظاهر ، لابد أن يضعه فى الحضيض ويقول عنه انه رديء .

٨ ــ **وبذلك يقع فى الكذب :** لا مانع من كذبه اذا كان الكذب سيوصله الى الارتفاع والظهور .

٩ ــ **ويعمل مؤامرات ودسائس :** لنزع الظاهرين من طريقه ويبقى هو وحده .

١٠ ــ **ومحبة المديح تؤدى إلى أكثر من هذا :** .. تؤدى الى أن الانسان يشتهى موت الاخرين لكى يأخذ مكانهم . فيشتهى خراب الاخرين وضياعهم كى يأخذ مركزهم . كأن يكون وكيلا فى عمل وهناك رئيس فيشتهى وظيفته بأية وسيلة من الوسائل . فهو يريده أن يخرج من عمله ، ويطلب من الرب موته كى يرتقى مكانه ، كما يطلب أن يغضب عليه رؤساؤه ، أو أن تقال عنه كلمة بطالة ، كى يزاح من أمامه فيخلو له المكان . وربما لا يسمح له ضميره

أن يضع كلمة فى حق هذا الرئيس ، ولكنه ينتظر بفارغ الصبر أية كلمة سوء تقال عليه فيسر جدا ويفرح ، حتى لو لم يكن منافسه هذا مخطئا ، ولا يبرره ولا يدافع عنه مع معرفته عنه انه غير مخطىء ولا يمكن أن يشهد بالحق الذى فى صالحه .

١١ ــ ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان ليس فقط لا يحتمل التأديب والتوبيخ والاهانة ، **وانما لا يحتمل كلمة نصح ، فكيف بنصحه آخر ؟** هل هذا الاخر افضل منه ، أو يفهم اكثر منه ، وهو العارف والعالم والناصح والموجه والمرشد ؟ . بل قد يزداد الامر فلا يحتمل انسانا ينصح آخر امامه ، لان النصح والارشاد له فقط ، فهذه اهانة لكرامته . ويتضايق ويغضب ولا يعرف أحد سببا لذلك ، فهو يغلى من الداخل . واذا سئل عن سبب غضبه ، لا يستطيع أن يقول السبب .

وبذلك يكون مشكلة لنفسه ومشكلة للاخرين . وربما اذا سئل غيره فى وجوده ، أو احترام الناس غيره فى وجوده ، لدرجة شعر بها أن الاحترام الذى وجه لغيره كان اكثر مما وجه اليه ، يتضايق ويتعب فى الداخل ولو لسبب بسيط

كأن يدخل انسان ويسلم على غيره باشتياق أكثر أو باحترام أكثر .

فهذا الانسان محب المديح يصبح متعبا . فهو لا يحتمل الناس ، كما ان الناس أيضا فى هذه الحالة لا يحتملونه .

١٢ — ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان أيضا **غير ثابت** : تجعله فى وضع متردد لا ثبات له ، **لا مبدأ له ولا راى** ولا خطة . لماذا ؟ **لانه لا يسير على مبدأ وانما** يسير على هدف المديح فان كان هذا الامر يأتى بمديح يفعله ، وان كان عكسه يأتى بمديح يفعل عكسه .

فهو يتلون مع الناس كيفما كانت صورهم . انه مع الشخص الوقور وقور ومتزن ، ومع الشخص المهزار يكون مهزارا . وأين الاتزان الماضى والوقار ؟ لقد انتهى ، فلكل شىء تحت السماء وقت ؟ ومع محب الكلام الكثير يكلمه طول اليوم لكى يمدح، ومع محب الصمت يصمت أيضا لكى يمدح. واذا وجد الحق ودفاعه عنه يعطيه المديح فهو سيدافع عنه. واذا كان هذا الدفاع سيغضب الناس فهو لا يقول الحق لئلا يغضبهم فيهرب المديح . انه يريد المديح وكفى ، بأية طريقة وبأية وسيلة ، ولا مانع من التلون مع الناس كى

يصل الى المديح . واحد يحب النسك لا يأكل أمامه ، وآخر يحب المتعة يقدم له أصنافا كثيرة على المائدة . يلبس لكل حال لبوسها ، ويتخذ لكل انسان صورة وشكلا وتصرفا . أمام انسان يحب الاتضاع يجلس بوقار فى اتضـــاع ويعمل الاعمـــال التى يمدح عليها كمتضـــع ، ومع المتكبر يكون فى صورته أيضا لكى يمدح .

هو انســان ملون لا يثبت على وضع لكى يأخــذ المديح . يعيش فى شـــقاء ، فى تعاسة ، يفقـــد سلامه الداخلى . يشتاق الى الكرامة . فان لم تأته يتعب ويشقى ، واذا أتته يفرح ويسر . يفرح وقتيا ، ويلازمه الشقاء ، لانه مشتاق الى كرامة أفضل ، ويعيش متعبا لان الكـــرامة الافضل لم تصله . والموضوع لا ينتهى وشقاؤه يظل معه دائما .

١٣ ــ محب المديح يقع فى الفطرسة والعظمة والكبرياء : وهذه تقوده الى باقى الشرور .

١٤ ــ واخيرا محب المديح يخسر حياته الروحية خسرانا تاما : فكل الفضـــائل التى يعملهـــا تتشوه تشويها كاملا اذ يدخلها حب المديح فيفسدها . ولا تصبح له فضـــيلة على الاطلاق ، لان كل فضيلة عنده تشوهت بسبب فساد الهدف والدافع اليها الذى هو محبة المديح .

هذا الانسان مهما تعب ومهما عمل ، يقف أمام الله صفر اليدين . ولا جزاء له عند الله ، لانه أخذ اجرته على الارض

اذ يقول له الرب فى اليوم الاخير انك استوفيت خيراتك فى حياتك على الارض من مديح وكرامة وعظمة ، ولا تستحق شيئا عندى فى السماء . ما الذى تستحقه ؟ هل تعبت وعملت فضيلة ؟ ليس من اجل الرب فعلت الفضيلة بل من اجل المديح ، من اجل ذاتك ، ومن اجل ارتفاعك ، فلا جزاء لك عند الله .

وهكذا يخسر هذا الانسان السماء أيضا والملكوت الابدى والاله . وفى نزاعه مع الناس ومحبته للكرامة . يخسر الناس أيضا لانهم لا يحبون المتغطرس ولا المتعظم ولا المتلون ولا محب المديح بل يتمرض لاحتقارهم وازدرائهم اذا مدح نفسه امامهم .

قال القديس مار اسحق : من سعى وراء الكرامة هربت منه ، ومن هرب منها بمعرفة سعت وراءه .

كيف ينجو الانسان من محبة المديح والكرامة

اولا : اخفاء الفضائل الشخصية والاعمال الحسنة :

لكى اهرب من مديح الناس يجب أن أخفى فضائلي واعمالى الحسنة . وليس معنى ذلك أن لا أعمل شيئا حسنا ، ولكن لا أعمل أمام الناس بقصد المديح . واذا كان العمل ضروريا أمام الناس ولا أستطيع الاخفاء ، فيكون على الاقل الهدف ليس هو الناس ولكن العمل فى ذاته .

تعرض القديس اغسطينوس لهذه المسألة فى تفسيره الكتاب المقدس ، يقول الكتاب : « احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات » مت ٦ : ١ . ويقول فى موضع آخر : « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ . فهل يوجد تناقض بين القولين ؟ .

يقول القديس اغسطينوس فى هذا الموضوع : « ليس هناك تناقض لان العيب ليس هو أن ينظر الناس أعمالكم الصالحة ، لكن العيب هو أن تعملوا الاعمال الصالحة بقصد أن ينظركم الناس» . فينبغى أن تعمل الخير سواء نظرك الناس

أو لم ينظروك لا يكن هدفك أن ينظر الناس اليك ، ولا أن يمدحوك ، أعمل العمل الصالح لا لكى تتمجد أنت بل ليتمجد الله ، لكى يمجدوا أباكم الذى فى السموات .

يقول البعض أنهم يعملون الصلاح لكى يكونوا قدوة امام الاخرين . ولكن لنفهم جيدا أن للقدوة مواضع . فيوجد اشخاص بحكم وضعهم مفروض عليهم أن يكونوا قدوة ، مثل رجال الاكليروس والقادة والمسئولين والرسل والانبياء ، فهؤلاء ان لم يكونوا قدوة سيعثرون الاخرين .

أما الانسان المتضع فانه لا يضع نفسه قدوة ، **لانه لا يرى** فى نفسه شيئا يقتدى به الناس . انه يحاول أن يهرب من مواقف القدوة بحجة أنه خاطىء وبائس ، وعلى عكس هذا يظهر نقائصه وضعفاته ، ومع ذلك قد يصبح قدوة فى اتضاعة . لكنه لا يريد ذلك فيبكى امام الله ويقول « يارب انا مرائى أنت تعرف مابداخل القبور المبيضة من عظام نتنة. ان كل أعمالى شريرة أنت سترتنى وأخفيت عيوبى عن آخرين — هل أستغل هذا الستر لاصبح قدوة . انا خاطىء وليس لى عمل صالح » هذا هو الانسان المتضع هذا قد يظهر عيوبه ليهرب من مديح الناس .

اما الذى يريد ان يصير قدوة : فلكى يظهر امام الناس حسنا ، يجوز ان يقع فى الكبرياء والرياء . فيجب ان نرضى الله لا الناس ، فلا يكون هدفنا ان نكون قدوة حتى ولو صرنا قدوة بترتيب من الله .

هكذا كان الاباء القديسون يتركون تدبير أمر معين فى الفضيلة اذا عرف ويعملون غيره . اذ كانوا يهربون جدا من المديح .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك كل تدبير حسن تسير فيه لئلا تضر . فاثبت فى كل تدريب صالح من اجل حياتك الروحية وليس لكى ينظرك الناس .

ثانيا : البعد عن الرئاسات والمناصب :

١ ـ لانها خطرة على الانسان وخير للحكيم ان يهرب . ولنورد كمثال خبر القديس بينوفيوس الذى عرفنا قصته من القديس يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة فى فرنسا .

كان القديس بينوفيوس رئيسا على دير يضم ٢٠٠ ـ ٣٠٠ راهبا فى منطقة البرلس . وكان متضعا جدا ومهابا وله مكانة عند الكثرين اذ كانوا يحبونه بسبب قداسته وحياته

الفاضلة ، ولمواهبه العظيمة التى منحه الله اياها، ولكهنوته ولانه شيخ وقور جلس هذا القديس ذات يـــوم الى نفسه وقال : « ماذا تكون نتيجة هذا الموضـــوع ؟ كل يوم مديح وكرامة واحترام وتوقير . اننى اخاف ان يأتينى الله فى اليوم الاخـــير ويخبرنى بانني استوفيت خـــيراتى على الارض . واين الطريق الضيق والكـــرب عملا بالاية التى تقـــول : « بضيقات كثيرة ينبغى ان ندخل ملكوت الله » أع ١٤ : ٢٢ وانا رجل متمتع باحترام وتوقير وكرامة ورئاسة ! » .

لذلك هرب القديس بينوفيوس ذات يوم من الدير دون ان يشعر به أحد ، متنكرا فى زى علمانى وسار جنوبا حتى وصل الى احد اديرة القديس باخوميوس الكبـــير فى اسنا وطرق الباب طالبا ان يقبلوه فى الدير ـــ فنظروا اليه فى احتقار . من هذا الرجل الشيخ الذى أتى ليترهب ؟ وقالوا له : « انك اتيت بعد ان تمتعت بملاذ العالم وشبعت من الدنيا ، وكذا شبعت الدنيا منك . هل تأتى فى آخر الايام وتترهب وتعمل قديسا ؟ انـــك لا تصلح ، فارحل عنـــا » والح القـــديس بينوفيوس عليهم فرفضوا وقالوا له « انت رجـــل شيخ ، ولا تحتمل الرهبنة وجهاداتها » فظل يلح ووقف على الباب مدة رغم رفضهم دون اكل او شراب . فعندما رأوا احتماله وصبره ، ادخلوه الدير على شرط الا يرسم راهبا ، ويكون

فى زى العلمانيين ، يخدم فى الدير واسندوا اليه مساعدة الراهب الشاب المسئول عن حديقة الدير ، ليكون كصبى عنده ، فلم يمانع واخذ الشاب يوجه اليه اوامر يعمل بها فكان مطيعا خاضعا . وتحول القديس الذى كان يحترمه الناس ويطيعونه الى تلميذ .. لكنها كانت امنيته اذ اراد أن يغير حياته الداخلية ويكون خاضعا لغيره وليس غيره خاضعا له . وكان معلمه الشاب شديدا جدا فى طباعه يريد ان يربى الشيخ تربية صحيحة ، لان الرهبنة ليست كسلا . وصار القديس يطيعه طاعة كاملة وينفذ اوامره بكل دقة ، لا يجادل ولا يناقش . وسار على هذا المبدا مدة ، وسر به الشاب . وايضا كان يقوم فى ساعة متأخرة من الليل — حيث الرهبان جميعهم نيام — ويعمل الاعمال التى كان يشمئز منها الاخرون لقذارتها . فاذا استيقظوا فى الصباح ، يجدون كل شىء قد تم دون أن يعرفوا من الفاعل فيبتهجون ويباركوا الرب من أجل ذلك . أما هو فكان مسرورا بهذا العمل .. وظل على هذا الطقس مدة ثلاث سنوات . يقول « اشكرك يارب من أجل عطاياك ونعمك العظيمة ، فلا احترام ولا تقدير ولا توقير ، بل طاعة واوامر » . ثم بعد ذلك اتى لزيارة هذا الدير راهب من اديرة البرلس ورأى القديس بينوفيوس يحمل السباخ ويضعه حول الشجر .

فشك فى نفسه ولم يصدق أنه هو . واخيرا سمعه يتلو المزامير بصوته المعهود ، فعرفه وسجد له وكشف الموضوع فأخذوه بمجد عظيم وارجعوه الى ديره . ثم بعد ذلك هرب ايضا الى بيت لحم وعمل خادما فى قلاية يوحنا كاسيان ، وتصادف أن ذهب راهب آخر لزيارة القدس وعندما قابله عرفه فأعادوه مرة ثانية باحترام ايضا الى الدير وزاره يوحنا كاسيان عند مجيئه لمصر وكتب عنه فى مؤلفاته . انه مثال حى للهرب من الرئاسات .

فالذى يريد أن يخلص من مديح الناس والكرامة يجب ان يهرب من الرئاسات والمناصب لانها لا تخلص النفس فى اليوم الاخير . فلا تبحث عن الرئاسات والمناصب لانها تشعرك انك شىء فى ذاتك . اذا نجحت فيها دخلك حب المديح والكرامة واذا فشلت ربما تقع فى دينونة كثيرة .

٢ ــ احلام الرئاسة تعب داخلى :

كثيرا ما يخلوا الانسان الى نفسه وفى احلام اليقظة يتصور انه فى مركز عظيم وانه يعمل .. ويعمل .. ويعمل . تدور على ذهنه مشروعات كبيرة وأمور خطيرة ويظن انه لو أعطى السلطان سوف يعمل ما لا يستطيع غيره أن يعمله .

وهذه تخيلات المجد الباطل وكبرياء موجودة فى الداخل تشعر الانسان انه يستطيع الشيء الكثير . وقد يسمح الله أن تسند الى هذا الانسان مسئولية فيفشل فيها لكى يعرف مدى ضعفه .

ذهب أحد الشيوخ ليزور راهبا شابا فى قلايته الخاصة وعندما هم بقرع الباب سمع صوتا من الداخل فانتظر قليلا حتى لا يعطل الراهب الشاب فسمعه يعظ من الداخل فانتظره حتى انتهى من العظة وصرف الموعوظين وقال لهم امضوا بسلام ، ثم قرع الباب وفتح الراهب الشاب ففوجيء بالشيخ امامه فخجل وفكر ما عسى أن يقول عنه الشيخ اذا كان سمعه يعظ بمفرده دون موعوظين فى قلايته فقال له انى آسف يا ابانا لئلا تكون قد جئت من زمن وتعطلت على الباب فابتسم الشيخ وقال له « جئت يا بنى وانت تصرف الموعوظين » وعرف الشيخ ان هذا الراهب محارب بالمجد الباطل اذ يتصور أنه شماس كبير ممن يعلمون ويعظون الموعوظين .

احذر أن تتخيل أنك رئيس أو قائد أو مشير أو انك تعمل، ربما يسمح الله بفشلك لكى تشعر بأنك ضعيف ، وانك

لا تعرف شيئا . وربما تصبح رئيسا ، وتقع فى الاخطاء التى يقع فيها غيرك .

٣ ــ الرئاسات ضارة لغير الناضجين :

قال القديس الانبا اوراسيوس أحد خلفاء باخوميوس : « ان الرياسة مضرة للاشخاص الذين لم ينضجوا » وضرب مثلا لذلك فقال « اذا احضرت لبنة لم تحترق بعد بالنار والقيتها فى الماء تذوب . أما اذا حرقت بالنار فلو القيت فى الماء تبقى وتشتد » كذلك الشخص الذى يصل الى محبة الرئاسة قبل أن ينضج ــ قبلما يمحص بالنار ــ اى باختبارات الحياة ، قبلما يزول منه المجد الباطل، هو معرض للهلاك . كذلك مساكين هم الناس الذين يخضعون لرئيس محب للمجد الباطل فهو يضيع نفسه ويضيع معه الناس من أجل المجد الذى يطلبه منهم .

٤ ــ اشتهاء الرئاسة لعمل الخير ضربة يمينية :

سئل القديس يوحنا الاسيوطى فى هذا الموضوع وقالوا له « هل يليق بالانسان أن يطلب رتبة وسلطانا لتقويم المعوجين وابطال الشرور ؟ » فأجاب : « كلا ، لانه ان كان الانسان وهو بعيد عن الرتبة والسلطان ، ينتفخ ويحب

العظمة ، فكم بالحرى يتشامخ ضميره اذا تسلط .. وان كان وهو بعيد عن الدرجة يريد ان يكون عظيما . فماذا يعمل عندما يصل الى الرئاسة والعظمة نفسها ؟ لان الذى لم يعرف الاتضاع وهو فى حقارته، فماذا يفعل عندما يكون فى عظمته ؟ وان كان منتفخا وهو بعيد عن المناصب فماذا يعمل عندما يأخذ المناصب ؟ .. وبينما لم يكن لديه سبب للعظمة كان يطيش فى ضميره فكم بالحرى يكون عندما ينال سببا للافتخار ؟ .. فان كنت لا تشتهى درجة الاتضاع فلا تطلب درجة الرعاية . واذا لم يكن فيك افتخار فلا تشته درجة الكهنوت لان الله يعتنى بشعبه اكثر منك .. اشته ان تكون خروفا فى رعية المسيح لا راعيا يطلب دم رعيته من يديك . اشته أن تكون حملا من القطيع يرعاك غيرك ، لا أن تكون مسئولا عن رعيه .

ان كنت لا تقدر أن تربح نفسك الان فكيف تقدر أن تقتنى نفوسا كثيرة ؟ .. اذكر الموت وعاقبة كل احد ، ولا تشته التسلط . واذكر أنك مهما كنت اليوم مكرما بالعظمة ، فغدا ستكون مثل سائر الناس محبوسا فى القبر .. ان كنت فى الوقت الذى لم يكن عليك فيه أثقال لم تستطع أن تحيى ذاتك فكيف تقدر أن تخلص شعبا كبيرا من شر هذا العالم .. ان كنت الان بلا مسئوليات كبيرة ، ولم تقدر أن تخلص هذه

النفس الواحدة التى هى نفسك ، فكيف تقدر على نفوس الناس ؟ ..

منذ سنوات جاءنى شاب رشح للكهنوت وسألنى عن رأيى فقلت له : «ياأخى عندما تصير قسيسا ماذا ستعمل؟» فأجابنى أسعى لاخلص النفوس . فقلت له « هل قدرت أن تخلص نفسك حتى تستطيع أن تخلص الاخرين ؟ .. نفسك التى تعرف عنها كل شيء ، تعرف جميع اسرارها وتاريخها كله وضعفاتها وأسباب الضعفات والعيوب التى فيها وأمراضها .. اذا لم تستطع أن تخلص هذه النفس المعروفة جدا لديك ، فكيف تقدر على خلاص نفوس الناس الذين تجلس معهم فترات قليلة فلا تعرف الا القليل جدا عنهم .. نفسك التى اذا وبختها تقبل منك التوبيخ لم تقو على تخليصها ، فكيف تقدر على تخليص الاخرين الذين لو كانت كلماتك شديدة سيغضبون منك .. نفسك التى تثق بك ومستعدة أن تسمع منك ، لست قادرا عليها ، فكيف تعمل مع الناس الذين قد لا يسمعون منك وقد يشكون فى كلامك . «فاهتم أولا بخلاص نفسك، لان تخليص الغير ليس سهلا».

الانسان الذى يريد أن يخلص نفسه لا يفكر أن يصير راعيا ، بل هو يهرب من الرعاية على قدر ما يستطيع . وان

أمسكه الله بالقوة وصار راعيا ، عند ذلك يطلب منه قـــوة يعمل بها ، لانه بنفسه لا يستطيع شيئا .. والذى يثـــق بقوته ومواهبه وقدرته على أن يخلص الاخـــرين . لابد أن يكون شخصا مغرورا ..

فليبعد الانسان عن حب الرئاســـة حتى ولو كان سببها رغبة خلاص الناس . ففى الحقيقة ان هذه سببها محبة المجد الباطل لا خلاص الناس .

٥ ــ الهروب الى المتكأ الاخير :

الانسان المتضع يبعد عن الرئاسات والمناصب ، ويحب المتكأ الاخـــير لانه يشـــعر أن هذا هو اســـتحقاقه اذ قال القديسون : « اعتبر نفسك أقل من الكل وآخـــر الكل لكى تستريح .. » قـــال القديس برصنوفيوس : « لا تحســـب نفسك فى شىء من الامور ولا يحسبك احـــد شيئا .. وانت تتنيح (تستريح) » .

الانسان غير المحب للمديح والكرامة يهـــرب من المناصب والمتكآت الاولى ويشتهى أن يخدم غيره ولا يخدمه احد .. يشتهى أن يتتلمذ على المرشدين ولا يكون مرشدا لآخرين : قال الشيخ الروحانى : « فى أى مكان وجدت فيه كن صغير

اخوتك وخديمهم » . طلب منى أحد الاباء الكهنة بعد رسامته ان أقول له كلمة أو نصيحة فقلت له : « كن ابنا وسط اخوتك وأخا وسط أولادك » فالذى ينزل درجة يرتفع درجات . وهذا هو الذى يستريح فى منصب من المناصب ، أما اذا كان يريد أن يتمتع بكل كرامة هذا المنصب ويملا كرسيه أو ينتفخ ، فهذا انسان مسكين . أما أنت فكن آخر الكل ، صغير اخوتك وخديمهم ، فى كل مكان تحل فيه . وان كان السيد المسيح قد غسل أرجل التلاميذ وهو المعلم والسيد ، فهل تبقى أنت رئيسا على أحد .

٦ ــ واذا كنت رئيسا :

وليس معنى هذا الكلام أن أرفض الرئاسة لو أتت الى فى وضعها الطبيعى فليس الضرر هو الرئاسة انما الضرر هو محبة الرئاسة ليس الضرر أن تبقى رئيسا ولكن الضرر هو ان تتسلط على الناس .. هناك انسان يبقى رئيسا وصاحب المتكأ الاول وهو شخص متواضع يعامل الناس بمنتهى الرفق لانه واحد منهم . والرئيس ليس رئيسا على الافراد ، ولكنه رئيس على العمل فقط . والرئيس والمرؤوس سواء عند الله ، بل ربما تكون للمرؤوس منزلة أكبر . والرئيس الحقيقى هو الذى يشعر بأنه زميل يتفاهم مع مرؤسيه

بالمحبة وبالبساطة ، لان الرئاسة والسلطة تعطى للناس من أجل ادارة العمل ، وليس من أجل كرامتهم الشخصية — كالذى يأخذ درجة عليا من الدرجات الكهنوتية — ان اعتبر ذلك تكبيرا لذاته ، يكون قد انحرف بالسلطة عن معناها الاصلى كوسيلة تمكن صاحب العمل من ادارة العمل.

يحكى عن القديس باخوميوس أب الرهبان أنه كان يسير مرة مع مجموعة منهم وكل يحمل حاجياته . فتقدم أحد الرهبان ليحمل حاجيات باخوميوس فرفض وقال له : « اذا كان المسيح له المجد دعا نفسه أخا التلاميذ فهل استخدمكم أنا فى حاجياتى .. لا يصير هذا الامر ابدا . من أجل هذا الاديرة الاخرى كائنة بانحلال ، لان كبارهم مستعبدون لصغارهم » .

وبولس الرسول يقول : « حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان » أع ٢٠ : ٣٤ .

٧ — كن رئيسا على ذاتك أولا :

وقال الشيخ الروحانى وهو ينصح الرهبان الصغار ألا يشتهوا رئاسة مجمع الرهبان : « ان حوربت بهذا الفكر فقل ان مجمعى هو مجمع أفكارى التى أقامنى الله رئيسا

عليها لكى أدبر أهل بيتى حسنا » . فكن رئيسا على أفكارك واحكمها حسنا ، لئلا تطيش شرقا أو غربا . كن رئيسا على حواسك ونظراتك وعلى سمعك ، كن رئيسا على شهوات قلبك واضبطها . وان تمكنت من أن تكون رئيسا على نفسك وتضبطها ، فأنت الشخص الذى تصلح أن تكون رئيسا . واذا كنت لم تعرف أن تحكم نفسك ولا لسانك ولا فكرك ولا قلبك من الداخل ، فكيف تصلح أن تكون رئيسا على غيرك ؟ .. ان لم تكن أمينا على القليل لا يمكن أن تكون أمينا على الكثير .

جاء أحد الرهبان الى القديس تيموثاوس وقال له : « يا أبى انى أرى فكرى مع الله دائما » فأجابه : « يا بنى أفضل من هذا أن ترى فكرك تحت كل الخليقة » .

أبعد عن الرئاسات والمتكآت الاولى .. احترم الكل ، وعامل الكل بلباقة فأية محبة تكون للذين يعاملون من هم اقل منهم باحترام وتوقير .. انك تقدر أن تحترم الشخص الاكبر منك ، وهذا أمر لا فضل لك فيه لانك مرغم ومضطر أن تحترمه ، لكن من يحترم الاقل منه يكون متضعا .. الذى يحرم الاصغر منه فى المنصب أو العلم أو السن أو المقام ، ويحفظ حقوقهم ويشعرهم بشخصيتهم ، يكون هو الشخص الذى يستحق المحبة من الكل ، وليست كرامتك هى أن

يخضع الناس لك بحكم القانون أو الاحترام ولكنها شعور توقير ينبع من القلب وليس من الظاهر فقط .

ثالثا : احتقار النفس والاتضاع :

ان الانسان الذى يبعد عن محبة المديح والكرامة ، يحتقر ذاته فلا يسمح لاحد أن يمدحه ، ولا يسمح لنفسه أيضا أن تمتدحه . والذى تمتدحه نفسه يجب أن يتذكر خطاياه ويقول كما يقول القديسون :

« أنا مازلت سائرا فى الطريق ولم أصل بعد للنهاية . ومن يدرى ربما أضل فى الطريق « من يظن انه قائم فلينظر أن لا يسقط » ١ كو ١٠ : ١٢ . أنا لم أصل بعد » .

أنظر الى المستويات التى هى أعلى منك . أما اذا نظرت الى من هم أقل منك فانك تتكبر وتتعظم — لماذا كان أولاد الله متواضعين ؟ لانهم كانوا يعرفون الكمال المطلوب منهم . كانوا يصلون الى درجات عظيمة فى النسك ، فى الصوم ، فى الصلاة ، فى احتقار النفس ، فى كل شىء ، وكانوا قدام أنفسهم ضعفاء ومساكين ، لانهم يعرفون أن هناك درجات أعلى بكثير من حياتهم .

ان مدحتك نفسك قل لنفسك : « ماذا فعلت لكى تمدحنى نفسى ؟ » . هل لصومك وصلواتك وعمل الوصايا تمدحك نفسك ؟ اذا كانت صلاتك عادية فكثيرون يصلون بالمزامير . واذا كنت تصلى ببعض المزامير ، فهناك من يصلون بالمزامير كلها . واذا كنت تصلى ساعة أو أكثر ، فهناك من يسهرون الليل كله . واذا كنت تصلى الليل كله فهناك من يصلون النهار والليل فى صلوات دائمة . الى أى درجة وصلت فى الصلاة ؟ كان القديس أرسانيوس يقف مصليا عند غروب الشمس وهو ناظر الى الشرق والشمس وراءه ، ويظل قائما فى الصلاة الى أن تطلع الشمس أمامه . هل عملت مثله ؟ — درب القديس الانبا مكاريوس الاسكندرى نفسه على أن يصلب عقله عدة أيام فلا يمكن أن يمر فى عقله او فى فكره شىء غير الله . الى أى مدى وصلت انت ؟ فهناك آباء كانوا يقضون أياما كثيرة فى الصوم بالاسابيع وانت ماذا فعلت ؟ .

الى أى درجة وصلت فى الاحسان ؟ هل تدفع العشور ؟ وماذا تكون العشور ، انها مبدأ يهودى وليست مبدأ مسيحيا . طالب الرب اليهود بدفع العشور ، أما عن المسيحيين فقال لهم « بع كل مالك واعط للفقراء » .. فهل

بعت كل مالك ؟ يقـــول الكتاب : « بيعـــوا أمتعتكم وأعطوا صدقة » .. هل عملت هكذا ؟ وان بعت فعلا كل مالك هناك درجة أعظم من هذا : كان أحد القديسين متناهيا فى الرحمة فباع كل شيء وأعطاه للفقراء . وعندما لم يجد شيئا آخر ليعطيه ، باع نفسه عبدا وأعطى ثمن نفسه للفقراء .

قارن نفسك بهذه المستويات ، فتحتقر نفسك وتتضع من من الداخل . ان نظرت لمن هم أقل منـــك تنتفخ . كالتلميذ الذى ينجح وينال مجموعا ٥٠٪ ، ان قارن نفسه بالراسبين ينتفخ لانه ناجح ، وان قارن نفسه بالناجحين بمجموع أكبر يتضاءل فى عين نفسه . كذلك أنت ، قارن نفسك بالمستوى الاعلى ، فتشعر بأنك مازلت ضعيفا ومسكينا ولم تعمـــل شـــيئا بعد .

أعرف أيضا طبيعتك انك تراب ورماد وانك قابل للسقوط حاول أن تنكر ذاتك وان تخفى فضائلك ، فلا تقبـــل مديح الناس ولا مديح نفسك .

قيل عن اثنين من الشبان الرهبان انهما دخـــلا الى مائدة الدير وكانت فى ذلـــك الحين مقسمة الى موائـــد للشيوخ وأخرى للشبان ـــ فدعا الشيوخ واحدا منهما فجلس معهم ،

أما الاخر فذهب الى مائدة الشبان . وبعدما خرجوا قال الذى ذهب الى مائدة الشبان لزميله « كيف تجرأت وانت شاب أن تجلس مع الشيوخ ؟ » فأجابه قائلا : اننى فضلت هذا لاننى لو كنت قد جلست على مائدة الشبان لكانوا يمتدحوننى لانى أكبرهم وربما قدمونى فى كل شىء ودعونى لقراءة البركة والصلاة . ولكننى عندما كنت جالسا على مائدة الشيوخ،كنت أحس بضعفى ، وبأنى لا أستحق الكلام، وجلست خجولا مطرقا طول الوقت .

هذا هو الفهم الحقيقى للنفس والمتكأ الاخير : أن يشعر الانسان فى نفسه من الداخل أنه هو فعلا فى المتكأ الاخير . فهناك شخص من أجل اسم الاتضاع قد يختار المتكأ الاخير ، والمجد الباطل يقتله . فاذا كنت تريد المتكأ الاخير فعلا ، اجعل قلبك من الداخل فى هذا المتكأ ، شاعرا فى عمق أعماقك أنك فى المتكأ الاخير ، حتى ولو أجلسوك فى المتكأ الاول ، قائلا لنفسك : ان كل هؤلاء الناس افضل منى .

ان وقفت تدرس الاطفال فى مدارس الاحد ، انظر اليهم أنهم ملائكة افضل منك، واطلب من الله أن تكون فى بساطتهم ونقاوتهم وفى كرامتهم عند الله . كان أحد المدرسين فى مدارس الاحد عندما يقع فى مشكلة يطلب الى أطفال فصله

أن يصلوا من أجله فى ضيقته . وكان يقول انى جربت صلاتهم فى مشاكل حياتى ، وكنت اشعر انها قوية ولها مفعول كبير اكثر من صلاتى الخاصة .

رابعا : احتقار مديح الناس والزهد فيه :

الانسان الزاهد فى المديح ، يزهد فى كل ما يعرفه عنه الناس من خير . فهو لا يريد أن يكون ممدوحا منهم لانه يعتبر أن مديح الناس اياه والكرامة التى يقدمونها له هى خسارة . بل هو يريد أن تكون الكرامة الوحيدة التى له عند الله مرددا قول السيد المسيح «مجدا من الناس لست اقبل» يو ٥ : ٤١ . وقوله « مجدنى انت أيها الاب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٥ . مريدا أن يمجد من الله وليس من الناس . فما هو المجد الذى كان لك أيها الاخ عند الاب قبل كون العالم ؟ مجدك الحقيقى هو ابك صورة الله ومثاله . مجدك الحقيقى هو فى علو شخصيتك من الداخل ، وفى نقاوة قلبك ، وفى فكرة الله عنك .

أما المجد الذى تأخذه من الناس فهو زائف وربما يكون عن جهل ، لان الذين يمدحونك لا يعرفون حقيقتك وهم يحكمون حسب الظاهر ، لا يقرأون افكارك ، ولا يعرفون مشاعرك واحساساتك الداخلية ولا خطاياك الخفية ..

ومديح الناس لا يوصلك الى ملكوت الله لان الله فاحص القلوب والكلى ولا يعتمد فى حكمه على أفكار الناس .

وبعض الناس يمدح بسبب المجاملة ، والبعض بسبب التشجيع ، والبعض بسبب أدبه الخاص ، والبعض يمدح لغرض معين فى نفسه ، والبعض يمدح بسبب التملق . والمسكين الذى يحب المديح يهمه ان يمدح كيفما كان الامر ، ويلذ له أن يصدق كل ما يقال فيه من خير سواء عن حق أو عن باطل .

ومديح الناس يضر الكثيرين ويضللهم . لذلك ينبغى لك أن تصادق من يوبخك ويوجهك . أما اذا مدحك الناس ، فتذكر خطاياك ونقائصك ، واعترافاتك المتعبة لك ، والاخطاء البشعة التى وقعت فيها فى حياتك . فعند ذلك يخف الم المديح .

أخطر نوع من أنواع المديح هو أن تمدحك نفسك من الداخل:

عندما تظن فى نفسك أنك كبير وعظيم وحكيم وصالح . تلك هى الكبرياء الموجودة فى الداخل ، فلا بد أن تعرف انك انسان ضعيف ، وأن كل مالك من قوة — ان كنت سائرا فى طريق الله — راجع الى أن النعمة تسندك فى حياتك . ولو تخلت عنك النعمة قليلا ، لسقطت فى الخطايا التى كنت

تنتقد الناس عليها ، والتى تظن أنك أقوى منها وأنك تقع فيها فى يوم من الايام .

للتخلص من المديح :

من يريد أن يتخلص من محبة المديح **لابد أن يشعر بأهمية المستقبل الابدى** ، ويهتم به ويجعله الهدف الاساسى لحياته. فلا يبنى مجده على الارض ، بل يرفض الكرامة العالمية ، ويهتم بالكرامة التى منحها له الاله عندما وضع اكليل البر ، ويكنز خيراته فى السماء . لذلك فان الابرار كانوا يرفضون كل أنواع الكرامة .

ومن يحتقر المديح **يهرب من محبة الرؤى والمناظر** . فكثير من الاباء الذين سقطوا برؤى خاطئة من الشياطين ، كان سبب سقوطهم هو محبة الكرامة والمديح ، واشتهاء الرؤى والمعجزات والعجائب والمناظر الالهية . ان بامكان الشياطين أن يظهروا فى هيئة ملائكة نور ، بل وفى هيئة المسيح نفسه . فينبغى لمن يحبون الله الا يهتموا بالمناظر ولا ينخدعوا بها .

ظهر الشيطان مرة لقديس وقال له: انا جبرائيل جئت اليك. فرد القديس عليه قائلا : لعلك اتيت لاخر لانى لا استحق ان

يرسل الرب جبرائيل الى . فان ظهرت لك أمثال هذه الرؤى والمناظر فارفضهـــا .

كلما كان القديسون يرتفعون فى حياتهم الروحية كلما كانت هذه المناظر تتضاءل جدا فى نظرهم . يروى عن أحد الاباء الكبار الجبابرة فى حياة الروح ، انه كان سائرا فى الطريق يصلى وقلبه ممتلىء بمجد الله ونفسه ملتصقة التصاقا كاملا به . وفيما هو يصلى وجد ملاكين عن يمينه وعن يساره ، فلم يسمح لنفســـه أن يلتفت الى أى منهمـــا ، واستمر فى صلاته كما هـــو مرددا فى فكـــره « من يفصلنى عن محبـــة المسيح ؟.. لاملاك ولا رئيس ملائكة» رو ٣٨:٨ لذلك يقول القديس باخوميوس ومار اسحق «ان من يرى خطاياه أفضل من الذى يرى ملائكة » . فـــلا تطلب انت هذه الرؤى بـــل اشعر بأنك لا تستحق . فى احدى المرات سألوا القديس انبا باخوميوس وقالوا له : قل لنا عن منظر حسن رايته فأجابهم « من كان مثلى خاطئا لا يعطى مناظر . أما ان اردتم منظرا حسنا ترونه ، فانظروا الى شخص وديـــع متواضع فانكم تبصرون الله فيه . وعن افضل من هذا المنظر لا تبحثوا .

الانسان المتكبر المحب للكـــرامة يشتهى رؤية الملائكة ، لكن المتضع يشتهى رؤية خطاياه . ان الرؤى لاتخلص نفسك

فى اليوم الاخير ، لكن معرفتك بجهالاتك وبنقائصك تجعلك تخلص .

ولكى ترفض المديح **ينبغى أن تخفى الاعمال الفاضلة** وحكمتك عن الناس ، واجعلها تظهر أمام الله فقط . ان كنت تعمل الخير من أجل الله لا من أجل الناس ، فماذا يهمك ان كان الناس يرون هذا الخير أو لا يرونه ؟

فى احدى المرات أتى جماعة من الرهبان الى الاب زينون بسوريا وكشفوا له أخطاء ونقائص لهم . فنظر اليهم وقال : « هكذا حال الرهبان المصريين : ان كانت لهم فضيلة يخفونها ، وما ليس فيهم من الرذائل ينسبونه الى أنفسهم» .

فى مرة اخرى كان يعيش فى برية شيهيت راهب سورى الاصل فهذا جاء الى القديس مكاريوس وقال له : « لى سؤال يا أبى : عندما كنت فى سوريا كنت أستطيع أن أصوم كثيرا وأطوى الايام صوما . أما الان فى مصر فلا استطيع ان أكمل اليوم صوما . فلماذا ؟ » وحيث ان الاديرة فى سوريا كانت فى المدن فى وسط الناس ، رد عليه القديس مكاريوس وقال له : « لقد كنت تطوى الايام صوما لانك كنت تتغذى على المجد الباطل ، الذى هو مديح الناس لك اثناء الصيام والانقطاع عن الطعام . أما فى البرية فلا يراك احد ، لذلك تجوع بسرعة » . لذلك قال القديسون « ان الفضائل اذا

عرفت تبيد وتنتهى » . لذلك كانوا يخفون فضائلهم وحكمتهم ومعرفتهم .

فى مرة زار ثلاثة أشخاص القديس الانبا أنطونيوس الكبير وهم القديس العظيم الانبا يوسف واثنان من الرهبان المبتدئين . فسألهم عن احدى الايات : سأل الاول فقال له لا أعرف . وسأل الثانى فقال له أيضا لا أعرف . وبعد ذلك سأل القديس الانبا يوسف ، ففكر قليلا وقال له لا أعرف . فنظر اليه الانبا انطونيوس وقال له : طوباك يا أنبا يوسف لانك عرفت الطريق الى كلمة لا أعرف .

الانسان الذى يحب المديح يشتهى أن لا يعرف الجميع الاجابة لكى يجيب هو وحده . ولكن « المحبة لا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق » ١ كو ١٣ : ٦ . ان كنت تحب أن تظهر للناس معرفتك بهذه الطريقة ، فانت تبنى مجدك على ضياع الاخرين وجهل الناس . ولذلك قال القديسون : « اذا وجدت وسط الحكماء فانصت ولا تتكلم ، وان سألوك عن شىء فقل لا أعرف » . واجتهد باستمرار أن تظهر عيوبك وتخفى فضائلك . فاذا اراد الله أن يظهرها فلتكن مشيئته، اما انت فلا تظهرها على الاطلاق لئلا تأخذ اجرك من الناس.

ولربنا كل مجد وكرامة آمين ..

اودع بدار الكتب تحت رقم ١٩٢٠ لسنة ١٩٧٢

يطلب من

مكتبة نفيسة السيدة العذراء

بحرم بك — اسكندرية